الفدائي

قصيدة في ثلاث لوحات

- ١ -

الدجى كهف أفاعٍ ومنايا تترصدْ
ووراء الشاطىء الآخر ، في القفر المسهّد
تلتوي في قبضة الريح خيام اللاجئين
ويواري الرمل آثار قبور الهالكين ...
والفدائي الى موعده الليلي تسعى قدماهُ
شبحا ترتعد الظلمة من هجس خطاه ..
تحمل الميلاد والموت يداهُ !
وتدوي أذناه
بنداء الريح والآفاق والارض : توغلْ !..
اغسل العار ،
كن الثأر الذي لا يتمهلْ !
كن رؤى محمومة تقلق نوم الغاصبين
وكن المصباح في ليل خيام اللاجئين !..
ـ يا الهي !..
وطني هذا .. ولكني طريد أتسللْ
عبر غاب من حراب الدخلاء !
وطني هذا الذي يطفح خصباً وعطاء
بينما نحن جياع نتسوّل
زادنا الضيم ، ومأوانا خيام في العراء !
وطني هذا ...
وقد كان موقد نار
خلف تلك الربوة الخضراء يوما ما ،
وكانت لي خميله
وحكايات طفوله ،
ورفاق بعضهم ماتوا ...
وكانت لأبي فوق الجدار
صورة أذكرها ـ أواه ، كم يبدو بعيدا
ذلك الحلم ، وكم كانت لياليا طويله ! ـ
ليت شعري .. من يطلّ الآن من ذاك الاطار ؟! ..
يا أبي ، يا أيها الراقد في المرج وحيدا
لا تقل انا أضعناك وخنا الذكريات !
لا تقل جيل ذليل آثر الموت الوئيدا ،
في صحارى الجوع والخوف ،
على الموت الذي يعطي الحياة !
انني عدت لاقتص لشجو الامهات ،
لدم خط دروب النازحين !
في عروقي نقمة الاحياء والموتى ،
واحقاد السنين !
عدت كي أطرق ، كالمقدور ، أبواب الغزاة
صارخـا :

هذا الثرى أمسي وتاريخي أنا
فليكن لي جدثاً ان لم يكن لي وطنا !...

- ٢ -

عبثا تنتظرينه !
عبثا يبحث في هول السكينه
قلبك الواله عن وقع خطاهُ !
انه ـ وارحمتاه
لك يا أمي الحزينه ! ـ
لن يعود اليوم .. فلتبك على النسر ذراهُ !
في فراش من شذى الليمون ،
في الارض التي ضمت أباه
أطبق النسر جفونه !
في سبات هانىء عانقت الرمل يداه ،
وانحنت زنبقة برية تلثم فاهُ
وجبينـه ! ...
وحواليه يرج الليل ذعر وحرائق
ويضيء اللهب الهادر ، في بعض الخنادق ،
خوذا مفموسة بالدم والوحل
وأشلاء بنادق !...

- ٣ -

يـا صغيري ...
لا تخف ان طفحت بالنار أشداق الظلام
أو بكت في الريح أعواد الخيام
فالروابي
حولنا ساهرة ترصد قطعان الذئاب ..
خدك الفائر وسده ضلوعي
وأرح من وحشة الليل المريع
قلبك الطفل ،
ولا تجفل اذا ابتلت بدمعي وجنتاك !
آه .. هل أقوى ـ أنا الأم ـ
على حبس دموعي
عندما أفتح عيني ، يا صغيري ، فأراك
ثاويا جنبي على الارض بأسمال ذليله ؟
وأرى في وجهك الشاحب رعبا
وتجاعيد كهوله ؟! ..
يا صغيري ، قبل أن تعرف ما لهو الطفوله
ركلوا مهدك واغتالوا أباك !
لـ نوا بالدم والموت رؤاك !
بيننا الاخضر ...
أعراش دوالينا الظليله
أمست اليوم ملاذا لسواك
والعناقيد استباحتها العصابات الدخيله !..
كم ركضنا ، يا صغيري ،
في مغازات العذاب
تتقفى خطونا الدامي ضباع وصقور !
وعبرنا هوة الموت على أوهى الجسور !
وطرقنا ألف باب
نجتدي الانصاف ،
نستبكي الضمير البشريا ..
ونسينا أن دنيا الناس غاب
ووحوش الغاب لا ترهب الا الظفر
والناب القويا !..
لو حملنا العبء شجعانا وجالدنا الصعاب ..
لو تفرسنا بوجه الموت من غير اضطراب
ما طردنا من ثرانا ...
آه ، يا طفلي الشقيا
ما الذي يجعلنا نحصد شوك الذكريات ،
ونوشي بخيوط الدمع ثوب الظلمات ؟
لمَ نبكي ؟ ..
ذلك الكابوس ولى وتوارى ..
وانطوى تاريخنا المطرق يأسا وانكسارا ..
يا صغيري ، بعث الموتى ..
رياح النكبات
أيقظتهم ، أضرمت في خشب التابوت نارا ! ..
وصغار الامس ما عادوا صغارا
ونما عبر الليالي السود ،
في جدب الصحارى
جيلنا الموعود ، جيل الشامخين الاقوياء ...
انهم في أرضنا الآن ،
يردون اليها الكبرياء !
وكأبطال الاساطير القديمه
يطعنون الوحش في مكمنه الداجي ،
يحيلون الهزيمه
معبرا للنصر ، ناقوسا وبشرى بالرجوع ...
يـا صغيري ،
خدك الفائر وسّده ضلوعي
وأرح جفنيك ، واحلم بالسواقي والورود ..
قد يطول الدرب ..
لكن ، يا صغيري ، سنعود !

صوفيا — رسيد ياشين